النشـــــــــــــرة

تصـــدرها مطـــرانية الـــروم الأرثوذكـــس في بـــيروت

العدد ٩ / ١٩٨٨
الأحد أول آذار
أحد مرفع الجبن
أحد الغفران
القديسة البارة في الشهيدات
أفدوكية
اللحن الرابع
إنجيل السَحَر الرابع

الـــرســـالـــة (رومية ١١:١٣-١٤؛١٤: ١-٤)
الإنـــجـــيـــل (مـــتـــى ٦ : ١٤ -٢١)

+ أحد الغفران: تذكار طرد آدم من الفردوس

في هذا الأحد الذي يسبق بدء الصوم الكبير مباشرة يُقرأ المقطع الإنجيلي من الرسول متى (٦: ١٤ - ٢١) الذي يتضمن تحذيراً لنا بأن الله سوف يغفر لنا إذا غفرنا نحن للآخرين. هذا الأحد مرتبط بطقس الغفران الذي يقام بعد صلاة الغروب مساء الأحد، أي عشيـــة بـــدء الصوم. أما النصوص الليتورجية لهذا اليوم فتتحدث عن طرد آدم من الفـــردوس. بســـبب خطيئة آدم، خطيئة كل الجنس البشري، نحن نحتاج لغفران الله، هذا الغفران الـــذي نحصـــل عليه فقط إذا غفرنا للآخر.

صلوات هذا الأحد مستوحاة من الفصول الأولى لسفر التكوين وفيها إشـــارات لمثـــل الإبن الشاطر. ففي صلاة الغروب نرنم: ''إن الرب جابلي أخذ تراباً من الأرض، وبنفخته

المحببة منحني نفساً وأحياني وأكرمني وأقامني في الأرض رئيساً على جميع المنظورات، عائشاً كالملائكة. لكن الشيطان الغاش استعمل الحية آلة، فخدعني بالأكل وفصلني عن مجد الله، وسلّمني بالأميال السفلى الى الأرض. لكن بما أنك سيد ومتحنن استدعيني ثانية''، في هذه الترنيمة نتذكر آدم في الجنة وسقوطه منها.

اما في صلاة السحر فنسمع عن أهمية الصوم والتوبة: ''إن آدم لما تناول من الأكل كمخالف طُرد من الفردوس، واما موسى فلما نقى حدقتي نفسه بالصيام استحق ان يعاين الله.

فيا أيها التائقون الى سكنى الفردوس هلّموا نبتعد عن الطعام غير النافع. وأيها الراغبون في معاينة الله هلّموا نصوم الأربع عشرات الموسوية، وبمواظبتنا على الصلوات والإبتهالات بخلوص نية نخمد أهواء النفس وننزع ادران الجسد، فنرتقي بخفة نحو الملك العلوي حيث مصاف الملائكة يسبّحون الثالوث غير المنقسم بأصوات لا تفتر، وننظر الجمال السيدي الفائق. فيا ابن الله المعطي الحياة أهّلنا نحن المتكلين عليك ان نتباشر هناك مع أجناد الملائكة، بشفاعات الأم، والدتك، أيها المسيح، والرسل والشهداء وجميع القديسين''.

صورة آدم، ومعه كل البشرية منتحباً على فقده الإلفة والمودة مع الله، وكل مباهج الفردوس، تشكّل خلفية الصوم الكبير. رحلة الصوم هي رحلة العودة الى الفردوس الذي فُتحت ابوابه ثانية للجنس البشري بواسطة الصليب. قال يسوع للص التائب المصلوب معه: ''الحق اقول لك إنك اليوم تكون معي في الفردوس'' (لوقا ٢٣: ٤٣). وقد ذكرنا في نشرة الأسبوع الماضي اننا نرى في أيقونة الدينونة الأخيرة اللص موجوداً في الفردوس حاملاً صليبه.

+ طقس الغفران

مساء الأحد وبعد صلاة الغروب، يُقام طقس الغفران ، فيقف الكاهن امام الباب الملوكي الى جانب أيقونة الغفران، ويتقدّم المؤمنون واحداً واحداً فيسجدون أمام الأيقونة ويقبّلونها ثم يسجدون أمام الكاهن طالبين الغفران وقائلين: ''أغفر لي أنا الخاطىء''. فيستغفرهم الكاهن أيضاً ويباركهم. ثم يمرّ المؤمنون أمام إخوتهم طالبين الغفران من بعضهم البعض.

عمل الغفران هذا تجسيد لوصية الرب المعطاة في إنجيل قداس هذا اليوم. عبر الغفران للآخرين واستغفارهم يُهيئ المسيحيون أنفسهم لتقبّل غفران الله. ان يغفر الإنسان حقاً للآخر هو من أصعب وسائل التعبير عن المحبة المسيحية، وقبول الغفران هو أحد أصعب

أشكال التواضع المسيحي . أن نسامح الآخرين وأن نقبل مسامحتهم هما طريقتان لحل صليب المسيح الذي أوصانا أن نحمل. هما أيضاً طريقان لدخول حياة القيامة الجديدة.

حقيقة الحياة المسيحية تتوضح أثناء طقس الغفران عندما تنشد الجوقة بهدوء تراتيل الفصح. هدف الصوم يُوضع أمامنا منذ البداية، فندخل الصوم ونحن واثقون أن صليب المسيح قد انتصر على خطيئة البشر. الضال الذي يظهر توبةً عبر حفظه الصوم بصدق سوف يستقبله المسيح دون شك يوم الفصح، وسوف يُعد من بين الصدِّقين يوم الدينونة: ''يا رب اننا تغرّبنا من الفردوس قبلاً بسبب الأكل من العود، فأدخلنا أيضاً اليه بصليبك وآلامك يا مخلّصي وإلهي، فشدّدنا به لنتمّم الصيام بطهارة لائقة ونسجد لقيامتك الإلهية والفصح الخلاصي بشفاعة والدتك'' (من سحر أحد الغفران).

+ مديح العذراء

''وأما هذا الجنس فلا يخرج إلا بالصلاة والصوم'' (متى ١٧: ٢١).

اليوم ندخل موسم الصوم الكبير، موسم الجهاد المبارك الذي يقودنا في مسيرة روحية نحو قيامة المسيح الخلاصية. هذا الخلاص صار ممكناً مع قبول العذراء مريم مشيئة الله الآب بأن تصير أماً لخالقها بمؤازرة الروح القدس، وقد انعكس قبولها على البشرية أجمع خلاصاً للجميع.

هكذا يأتي مديح والدة الإله العذراء الذي لا يُجلس فيه ملائماً لهذا الموسم البهج، فنمدحها مساء كل يوم جمعة من الأسابيع الخمسة الأولى للصوم شاكرين إياها على مساهمتها في خلاصنا الذي سوف نحياه يوم الفصح المجيد.

يجزم معظم مؤرخو الطقوس ان خدمة المديح كانت تقام يوم عيد البشارة وذلك حتى عام ١٤٥٣ يوم سقوط القسطنطينية. وما زلنا لغاية اليوم نرتل قنداق عيد البشارة، ''إني انا عبدك يا والدة الإله...''. يعتقد الجميع ان كاتب هذه الترنيمة المعروفة جداً لدينا هو القديس رومانوس المرنم (+٥٥٦) الذي كان شماساً في بيروت وانتقل الى القسطنطينية. هذه الترنيمة رُتِّلت مع أبيات المديح الأربع والعشرين الأخرى يوم نجاة القسطنطينية من حصار الفرس والجيورجيين حوالي عام ٦٢٠. وتفصيل ذلك انه أثناء غياب الإمبراطور هرقل عن عاصمته القسطنطينية هاجم الفرس (من الشرق) والجيورجيون (من الغرب) العاصمة وملأوا خليج القسطنطينية بالسفن والبر بالخيالة. ولما كان أهل المدينة قليلي العدد ولا وسائل دفاع لديهم ولا رجاء لهم إلا بالله، حثّهم البطريرك سرجيوس على الإتكال على الله ووالدة الإله والتضرع اليهما. وراح يدور مع الشعب فوق أسوار المدينة ، حاملين أيقونة المسيح وعود

الصليب المقدس مع أيقونة والدة الإله وثوبها. وفي تلك الليلة هبت عاصفة حطمت السفن امام كنيسة فلاشرنس على الخليج المذكور، فخرج الشعب بعدها وقضوا على ما تبقى من المهاجمين. وبعدما لمسوا نعمة الله الممنوحة لهم بواسطة والدة الإله اجتمعوا في كنيسة العذراء ورتّلوا لها طوال الليل لأنها سهرت على خلاصهم. ونسجوا لها تسبيحاً شكرياً مؤلفاً من أربع وعشرين بيتاً. وتُنسب هذه الأبيات الى سرجيوس بطريرك القسطنطينية، ومنهم من ينسبها الى جاورجيوس البيسيدي حافظ مكتبة كنيسة الحكمة الإلهية (كنيسة اجيا صوفيا).

مديح والدة الإله هو عبارة عن منظومة شعرية مؤلفة من أربع وعشرين بيتاً، وكل بيت يبتدىء بحرف من الحروف الأبجدية اليونانية بالتسلسل، إثناء عشر بيتاً منها تنتهي بعبارة ''إفرحي يا عروساً لا عروس لها'' وإثنا عشر بـ ''هلليوليا''. في الكنائس اليونانية والعربية هذه الأبيات مقسمة الى أربعة أدوار تتلى بالتتابع خلال الأسابيع الأربعة الأولى من الصيام وتعاد جميعها في الأسبوع الخامس وذلك ضمن صلاة النوم الصغرى. في الكنائس الروسية يتلى المديح فقط في الأسبوع الخامس في خدمة سَحَر السبت.

تتأمل هذه الأبيات في سرّ التجسد الإلهي القسم الأول منها (إثنا عشر بيتاً) يعالج ميلاد الطفل الإلهي حتى إدخاله الى الهيكل: بشارة الملاك (البيت الأول) إستجابة مريم وقبولها النعمة وجواب الملاك (الأبيات ٢و٣و٤)، زيارة مريم لإليصابات (٥)، إنذهال يوسف (٦) مجيء المجوس والرعاة وسجودهم للإله المولود (٧و٨و٩و١٠)، سمعان الشيخ وإدخال الطفل الى الهيكل (١٢) الرحلة الى مصر (١١). اما القسم الثاني (إثنا عشر بيتاً) فيشكّل تأملاً في سر التجسد والخلاص الذي حصل بمريم.

يذكرنا المديح خلال فترة الصوم، التي يتوّجها أسبوع الآلام، ان الذي تألم ومات هو كلمة الله الذي صار إنساناً بمريم التي تسمى حقاً والدة الإله. عبر قبول مريم استطاع الله ان يصير انساناً كاملاً ويولد مثلنا لذلك نمدحها لأنها كانت وسيلة خلاصنا. هي صورة الطاعة الكاملة والتكريس الكامل لله. نمدحها لتكون شفيعتنا وحارستنا لعلنا نولد من جديد أبناءً لله وندخل في سر الله ونرتضي ان نضع يدنا على المحراث ولا ننظر الى الوراء. نمدح اليوم العذراء وعيوننا شاخصة الى القيامة، التي لا بد آتية، طالبين شفاعتها للعبور الى فناء العمر الهادئ ونصير من ''سباحي العمر الذين يؤثرون الخلاص''.

+ التوبة في الليتورجيا وكتابات الآباء

"إني اؤتمنت على كورة نضرة منزهة عن الخطأ، فزرعت الاثم في ارضها، وحصدت سنابلها بمنجل الكسل، وجمعت أكداس أعمالي حزماً ولم أضعها في مدرس التوبة،

فلذلك أسألك يا إلهنا الفلاّح الأزلي أن تذري تبن أعمالي بنسيم محبتك العطوفة وأن تملأ نفسي من قمح الغفران واخزنّي في أهرائك السماوية وخلّصني".

(من صلاة غروب أحد الابن الشاطر)

إن مفهوم التوبة في الكنيسة يبدو جلياً بكل ابعاده في صلوات الأحد الثاني من آحاد التهيئة الأربعة التي تسبق بداية الصوم الكبير. فالكنيسة تعلن:"في هذا اليوم نصنع تذكار الابن الشاطر الوارد في الانجيل الشريف الذي رتّبه آباؤنا المتألّهون" وتقدّمه مثلاً بدعوتها الى كل منا:"يا من هو مثلي شاطر تقدّمْ بثقة وطمأنينة، لأن قد فُتح باب شفقة إلهية" والتي تأتي في ترتيب صلاة السحر بعد طلبها ليسوع: "إفتح لي ابواب التوبة يا واهب الحياة... آتياً بهيكل جسدي مدنساً... وأهتف اليك مثل داوود: "إرحمني يا الله كعظيم رحمتك". وكما هو معلوم، فإن كلمة شاطر تعني الذي انشطر عن محبة أبيه وحضنه وشطر ثروته (أي الوزنات المعطاة له/ لكل منا) موجهاً اياها نحو الاستعمال الرديء خارج هذه المحبة. لذا سنركز في ما يلي على مختلف جوانب التوبة الموجودة في هذا المثل منطلقين منها الى أمثلة من ليتورجيا الكنيسة والكتاب المقدس والآباء.

نود أولاً وضع الليتورجيا في إطارها الكنسي. ان الليتورجيا ليست فقط مجموعة صلوات ألفها أناس بل هي نتيجة خبرة آباء الكنيسة الذين عاشوا بالروح في محبة السيّد. هي نتاج جهادها وسعيهم الى القداسة. الليتورجيا اذاً هي خبرة الآباء الروحية أضحت صلاة. وترتيب الصلوات يعكس سيرورتهم الى القداسة. فمثلاً، الأحد الاول من آحاد التهنئة التي ذكرناها آنفاً، يضع نصب أعيننا مثال التواضع الوارد في مثل الفريسي والعشار (لو ١٥:١١ – ٣٢)، وهو شرط أساسي للتوبة (أحد الابن الشاطر) وهكذا في الآحاد الثلاثة الاخرى. لهذا، فإن ليتورجيا الكنيسة هي عبادتها الجماعية التي يشترك فيها القديسون الراقدون والأحياء في شركة كنيسة واحدة.

إضافة الى هذا، فإن الليتورجيا هي قراءة وخبرة آبائية للكتاب المقدس بروح الرب، للغوص في مضامينه وسبر أغواره، فيصير الكتاب المقدس وكتابات الآباء كلاً لا تنفصل أجزاؤه، لأن مخاطبة الله للكنيسة ومؤازرتها بروحه القدوس لم تتوقفا عند آخر كلمة في سفر الرؤيا بل استمرتا ضمن خط واحد ومنسجم ليتلاقى على دربه وينصهر فيه كل من اندمج بالروح القدس مع القديسين الذين تشرّبوه.

لذلك فإن مقاربة موضوع التوبة هي مقاربة لكل مسيرة الكنيسة من حيث هي جماعة المؤمنين الساعين، افرادياً وجماعياً، للسير على هذا الدرب للوصول الى الملكوت. وفي الكنيسة، التوبة هي سر من أسرارها لأنها تبتغي الوصول الى المصالحة مع الله ومع الذات

والآخرين. وبدون هذه التوبة، هذه المصالحة، لا يتحقق فينا القصد الإلهي من الخلق: ان يكون الإنسان في شركة مع الله ومع الاخرين، في انسجام متآلف مع الطبيعة والكون. التوبة، اذاً، عودة الى الصورة الاولى التي كان عليها آدم وحواء. هي "فرار من الخطيئة" كما تقول صلاة الغروب.

الإنسان، في فكر الآباء، هو الذي "أتلف غنى النعمة التي أعطاه اياها المخلّص وبذّرها" (من صلاة السحر). لذا، فالرجوع هو اعادة استخدام الوديعة التي ائتمننا الله عليها بالطريقة التي توصل الى هذا الانسجام، وهذا هو شرط الصيام: ان نكون في جهاد ضد كل ما يبعدنا عن التحليق بدون ثقل الأهواء نحو مشتهانا، محبة الله الثالوث. التوبة هي "مصالحة الاثمة مع السيد" (من صلاة سحر أحد مرفع اللحم). الصيام هو درب توبة. لهذا، وفي روعة اللحن الأول الذي هو من ألحان الفرح، نهتف في آخر صلاة سحر الأحد الخامس من الصوم بما يشبه نشيد الغلبة على ما أنجزه الصائم، حثاً له على المتابعة للوصول الى قيامة الرب: "ليس ملكوت الله طعاماً وشراباً بل برّاً ونسكاً مع قداسة". إلا أن هذا الهتاف لا يكتمل فقط بالجانب الجهادي الداخلي، بل أن الترنيمة تعطي النتيجة ، اي الثمرة لهذا العمل اذ تعلن "ان الرجل البار هو الذي يرحم النهار كله. فالمتنعم بالرب والسالك في نوره لا يعثر. فهذا كله قد كتب لوعظنا، لكي نصوم ونصنع البرّ، فيمنحنا عوض الأرضيات السماويات".

يصعب ولوج أعماق التوبة دون الدخول في دورة الكنيسة الليتورجية وحياتها الجماعية. فالمؤمن هو جزء من الكنيسة لأنه عضو في جسد المسيح. لهذا، تضع الكنيسة في موسم الصوم الذي نكرر، هو درب التوبة الأول، اكثر من مثالٍ ومشعل لكي يضيء الدرب. ففي الاحد الثالث نكرّم صليب الرب ونطوف به مزيناً بالرياحين، لأن إحدى صلوات الكنيسة تقول:"لأن هوذا بالصليب قد أتى الفرح للعالم". والأحد الرابع مخصص لتذكار القديس يوحنا كاتب "سلّم الفضائل" الذي هو من المنارات المضيئة التي تدل المؤمن الى حضن الرب بالتوبة. اما الاحد الخامس فيعطينا مثال القديسة مريم المصرية التي، بعد حياة الغواني، نسكت في توبة شديدة لمدة اربعين سنة "فضارعت سيرة الملائكة، وبسلاح الصليب لاشت الشياطين" (من صلاة سحر الاحد الخامس).

فالترتيب الليتورجي يهدينا في مسيرتنا الصيامية من اسبوع الى اسبوع ومن احد الى احد لنصل عبر التوبة والإرادة المصلوبة مع المسيح الى نور القيامة.

+تأمل

تفرّغ لخلاص نفسك وطهّر قلبك

الآن وقت الاعتراف، فاعترف بما اقترفته بالقول والفعل ليلاً ونهاراً. إعترف في الوقت الملائم (٢ كور ٢:٦)، وفي يوم الخلاص تقبّل الكنز. اذكر الأشياء التي قيلت، لأننا نقولها، ليس فقط لكي تسمعها، بل لكي تحفظها بالايمان. اطرح عنك كل اهتمام دنيوي، وجاهد في سبيل خلاص نفسك (أمثال ٢٣: ٧). أترك الأمور الدنيونة لأنها باطلة. امّا العطايا التي يمنحها الرب فهي عظيمة. دع الخيرات الحاضرة واسْعَ الى الخيرات المقبلة. لقد قضيت السنين الطوال في العمل بدون جدوى لأجل العالم، ولا تتفرّغ اربعين يوماً لأجل خلاص نفسك؟ "كفّوا واعلموا اني انا الله" يقول الكتاب (مز ١١:٤٥). إمتنع عن الكلام غير المفيد، ولا تنمّ على احد ولا تُمل أذنك الى النمّامين؛ بل اجتهد ان تكون دائماً حاضراً للصلاة، وأظهر بزهدك قوة قلبك. "نقّ كأسك" (متى ٢٣؛٢٦) لكي تتقبّل فيضاً اكثر من النعم. إن مغفرة الخطايا تُمنح للجميع بالتساوي. ولكنّ الشركة في الروح القدس توهب حسب ايمان كل واحد (رو ٦:١٢). فان كنت تعمل قليلاً تنال قليلاً، وان كثيراً تنال اجراً عظيماً (متى ١٢:٥) ان تركض في سبيل خيرك، فأهتمّ بمصلحتك.

إن كان لك شيء على أحد فاصفح عنه، وتعالَ لتنال مغفرة خطاياك. من الضروري ان تغفر للذي أخطأ اليك، وإلا بأيّ وجه تقول للرب: إغفر خطاياي الكثيرة بينما أنت لا تغفر لأخيك زلاته الصغيرة؟" (متى ٢٣:١٨ – ٢٥). واظب على اجتماعات الكنيسة بنشاط، ليس فقط في هذا الوقت الذي يطالبك فيه الكهنة باظهار غيرتك، بل بعد أن تنال النعمة. إن كنت قبل أن تنالها وجدتَ فائدة في المجيء، أليس من الأجدى لك ان تأتي أيضاً بعد نوالها؟ وان كان من المفيد قبل زرعك ان تُسقى ويُعتنى بك، فكم بالحري بعد زرعك؟ جاهد الجهاد الحسن (٢ تيمو ٧:٤) في سبيل نفسك ولا سيما في هذه الايام، وغذّها بالقراءات المقدّسة، لأن الرب اعدّ لك مائدة روحية. وقل في نفسك مع صاحب المزامير: "الرب راعيّ فلا يعوزني شيء؛ في مراع خصبة يُقيلني، ومياه الرحمة يوردني. يردّ نفسي ويهديني الى سبيل البرّ من أجل اسمه" (مز ١:٢٢ – ٣). تصرّف بحيث الملائكة ذاتها تفرح معك، ويتسنّى للمسيح الكاهن الأعظم وهو يتقبّل قصدك الصالح ويقدّمك الى الآب أن يقول: "ها أنا والاولاد الذين اعطانيهم الله" (أشعيا ١٨:٨؛ عبر ١٣:٢) .

... أما من جهة الطعام، فلتكن هذه قوانينكم، اذ كثيرون يعثرون بسببه. فالبعض لا يُبالي مما يقدّم للأوثان، بينما يمتنع البعض الآخر عن اكله. ولكن في نفس الوقت يدينون مَن يأكلون منه (رو ٣:١٤). وهكذا بسبب الطعام تتدنّس نفوس البعض (١ كور ٧:٨) لجهلهم أسبابَ الذين يأكلون والذين يمتنعون. فنحن نتمنع عن الخمر واللحم، لا كُرهاً مناّ بل أملاً في المكافأة، إذ باحتقارنا الأشياء المادية سنتمتّع بالوليمة الروحية العقلية. "واذ نزرع الآن بالدموع

سنحصد بالترنيم" في الحياة الآتية (مز ١٢٥:٥). فلا تحتقر اذاً الذين يأكلون بسبب ضعف أجسادهم (رو ١٤:٣) ولا تَلُم الذين يتناولون قليلاً من الخمر من أجل معدتهم وأمراضهم المتواترة (١ تيمو ٢٣:٥)، ولا تعتبرهم خطأة لأجل ذلك. لا تكره اللحم كأنه عدوّ، فإن الرسول عرف اناساً من هذا القبيل، عندما كتب: "انهم ينهون عن الزواج وعن أطعمة خلقها الله ليتناولها ويحمد عليها الذين آمنوا وعرفوا الحق" (١ تيمو ٤:٣) . لا تمتنع عن هذه الأطعمة على انها امور دنسة، فإنك قد لا تنال اجراً لذلك؛ ولكن انظر اليها كأشياء صالحة تمتنع عنها للحصول على خيرات وهبات روحية أفضل.

(القديس كيرلس الأورشليمي)